الإبداع في الإسلام: رؤية شرعية

سعد بن علي بن محمَّد الشهراني[1]

الملخّص

الإبداع سمة إنسانية ميّز الله تعالى بها هذا الإنسان عن غيره من المخلوقات، والله تعالى هو خالق الإنسان المبدع، فهذا الدين هو دين الإبداع. ويتضمن البحث: معنى الإبـداع لغة واصطلاحا. وأهمية الإبداع في الإسلام. الإبداع في التصور الإسلامي. التأصيل الشرعي للإبداع. الضوابط الشرعية للإبداع. أثر العقيدة في الدفع إلى الإبداع. ومن أهم نتائج البحث وتوصياته: العناية بالتفكير الإنساني على وجه العموم والتفكير العلمي بوجه خاص، والتفكير الإبداعي بوجه أخص، من الأمور التي حث عليها الإسلام، وهي من أهم خصائص الثقافة الإسلامية، التي تميزها عن ثقافات أخرى لم تنهض العلوم فيها إلا بعد الثورة على القيود الدينية المبتدعة التي كانت تعوق التفكير العلمي. ولا شك في أن حاجة العالم الإسلامي المعاصر ماسة إلى الأخذ بأسباب التقدم العلمي في تنمية التفكير الإبداعي لمواجهة التحديات الثقافية والاقتصادية والسياسية التي تواجهه، وأن حاجة العالم المعاصر كله ملحة لتقدم العالم الإسلامي، لكي يستطيع أن يقدم نموذجًا حضاريًا يجمع بين امتلاك أسباب القوة العلمية والمادية، وتفعيل الأخلاق الإنسانية التي تحتاجها الحضارة المعاصرة ودعوة للتربويين المسلمين والمهتمين بدراسة الإبداع، بوضع نظرية إسلامية عن الإبداع، وتوجيه مساره تعليمًا وتطبيقًا بما يتناسب مع المنهجية الإسلامية، وتعزيز بحوث الإبداع عبر مسارات تربوية ثقافية واجتماعية وإنتاجية وخدمية متعددة، مما يمكن من تعميم نتائج البحوث العلمية، ووضعها موضع التطبيق في تنمية المجتمعات الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الإبداع، الإسلام، التأصيل.

[1] أستاذ العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة samshahrani@uqu.edu.sa.

Creativity in Islam: Islamic Vision

Saad Bin Ali Bin Muhammad Al-Shahrani

Abstract

Creativity is a human trait that Allah Almighty distinguished from this creature from other creatures, Allah Almighty is the creator of the creative person, so this religion is the religion of creativity. The research includes: 1) Meaning of creativity in language and in term. 2) The importance of creativity in Islam. 3) Creativity in Islamic perception. 4) Legal rooting for creativity. 5) Legitimate controls of creativity. 6) The effect of belief on advancing creativity. Among the most important findings and recommendations of the research: Caring for human thinking in general, and scientific thinking in particular, and creative thinking in particular, are among the things that Islam urged, and it is one of the most important characteristics of Islamic culture, which distinguishes it from other cultures in which science did not rise until after the revolution on artificial religious restrictions that impeded thinking Scientific. There is no doubt that the contemporary Arab-Islamic world urgently needs to take into account the causes of scientific progress in developing creative thinking in order to face the cultural, social, economic and political challenges facing it, and that the need of the contemporary contemporary world is critical to the progress of the Arab and Islamic world, so that it can provide a civilized model that combines possessing the causes of strength Scientific and material, and activating human ethics, which is lacking contemporary civilization. I Ask Muslim educators and psychologists who are interested in studying creativity, by developing an Islamic theory of creativity, directing its path of education and application in a manner consistent with the Islamic methodology, and enhancing creativity research and development experiences in various educational, cultural, social, productive and service contexts, which can generalize the results of scientific research, and put it into practice In the development of Arab societies.

Keywords: Creativity, Islam, Rooting.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن الإبداع سمة إنسانية ميَّز الله تعالى بها هذا الإنسان عن غيره من المخلوقات، والله تعالى هو خالق الإنسان المبدع، ومن هنا فإن الإبداع إنما هو وسيلة من وسائل تحقيق العبودية لله تعالى بالخضوع والطاعة له، والانقياد لمنهجه، فيلزم هذا المخلوق أن يوجه إبداعه لما يحبه الله ويرضاه، وأي خروج للإبداع عن هذا المسار فهو عبث ووبال على صاحبه؛ لأنه وظف إبداعه لغير ما أراد خالقه سبحانه وتعالى، الذي رسم له الغاية العظمى من وجوده بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:56]

ومن خلال بيان هذه الغاية للإبداع في الفكر الإسلامي، نقدّم دعوة للتربويين المسلمين وعلماء النفس والمهتمين بدراسة الإبداع إلى الانطلاق من هذه الغاية، بوضع نظرية إسلامية عن الإبداع، وتوجيه مساره – تعليمًا وتطبيقًا– بما يتناسب مع المنهجية الإسلامية.

– أما أهداف البحث:

1- بيان اهتمام الإسلام بالإبداع وأنه دين عالمي يهتم بكل ما يصلح أحوال العباد والبلاد سواء في أمور دينهم ودنياهم.

2- إثبات أن الإبداع ليس حكرا على الغرب بل نحن من علمهم الإبداع وأوصلهم إليه.

3- بيان التأصيل الشرعي للإبداع.

4- بيان أثر العقيدة على الإبداع.

– ومشكلة البحث: هي الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هي الرؤية الشرعية تجاه الإبداع؟
- ماهي ضوابطه وتأصيله الشرعي؟
- وما مدى تأثير العقيدة في الإبداع؟

– أما الدراسات السابقة: فهي كثيرة ومنها:

1- الإبداع رؤية إسلامية، علي بن إبراهيم العجين[2] .

2- الموهبة والإبداع والتفوق، فتحي عبد الرحمن جروان[3] .

---

[2] الإبداع رؤية إسلامية، تأليف: علي إبراهيم العجين، مركز ديبونو لتعليم التفكير – عمان، ط2، 2015م.

[3] الموهبة والإبداع والتفوق، تأليف: فتحي عبد الرحمن جروان، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط7، 2017م.

ولعل في هذا البحث جمع ما تفرق حول هذا الموضوع، ومعرفة مدى تأثير العقيدة في الإبداع وبهذا يظهر أن الإسلام هو دين الإبداع على عكس ما يصوره الحاقدون عليه أنه دين الرجعية والظلامية، بل إن الإسلام هو الذي نقل أوروبا من عصور الجهل إلى العلم والتقدم وقد شهد بذلك المنصفون من الغرب.

ولاشك أن هناك علاقة طردية بين قوة المسلمين ونهضتهم وإتقانهم لأعمالهم وبين قوة توحيدهم، ومن تتبع تاريخ الأمة الإسلامية عبر القرون رأى ذلك جليًّا واضحًا، وتاريخ الدُّول الإسلامية خير شاهد على ذلك، فحين تكون الدولة الإسلامية موحدة لربها، قوية في توحيدها، بعيدة عن الشرك والخرافة؛ تكون في أوج قوتها وعزتها، وحين ينخر فيها سوس الشرك والتخلف والجهل تتهاوى وتسقط وتصبح مستعبدة ذليلة؛ لأنها ابتعدت عن عقيدة التوحيد الخالص.

كما أنَّ أي منهج في عالم الأفكار سيبقى حبيس الصدور وأسير السطور مالم يترجم إلى نموذج عملي على أرض الواقع لتدبَّ به الحياة وينسلخ عن عالم المثال والتنظير، فالتجربة العملية هي التي تشهد لهذا المنهج أو عليه وتكشف اللثام عن ثغراته وإضاءاته.

فمن مخادعة الذات أن نسير خلف فتات النظريات الغريبة والتسليم المطلق بها –في أغلب الأحيان ينسق بعضها بعضاً– ونغفل تجربة النموذج الأمثل لبناء الشخصيات الإبداعية بالمنهجية النبوية المؤيدة بالوحي، فلابدَّ من استدعاء المنهج النبوي التربوي واستبطانه وفهمه الدقيق لتوظيفه عمليًا، لا لنعتز به ونحتمي به من هذا الوهن والإنهاك الحضاري، ولا لندلل على عظمة الإسلام وإبداعه بالشواهد العلمية فحسب، وإن كان لابد من ذلك؛ ولكن لنقدم نموذجًا راشدًا للعالم أجمع (إبداع مسلمين) لتقود الأمة دورها المنوط بها في قلب العصر (المشروع الحضاري الإسلامي العالمي) المرتقب المؤسس على عقيدة التوحيد.

فقد شهد لعظمة رائد هذا المنهج النبوي وقائده ونموذجه الحي، القاصي والداني، والمسلم وغير المسلم، فقد اختار (مايكل هارت) اسم محمد ﷺ أعظم العظماء في تاريخ البشرية، وقد دلَّ هذا على دقة تحليل الباحث إلى درجة تثير التعجب والإعجاب، حيث وقع مقياسه للعظمة درجة التأثر الذي أحدثه في العالم[4] .

إنه نقل قومه من التوحيد بالأصنام التي تفسد الأذواق والعقول، وتسلب الذوق والجمال، إلى التوحيد بالله، ونقل العالم كله من ركود إلى حركة، ومن فوضى إلى نظام، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية، ولم ينقله هذه النقلة قبله ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات[5] .

---

[4] مصطفى الزرقاء، **عظمة محمد خاتم رسل الله**، ص38.

[5] العقاد، عباس محمود، **عبقرية محمد** ﷺ، ص12-13.

وقد تضمن البحث الموضوعات التالية:

- معنى الإبـداع لغة واصطلاحا.
- أهمية الإبداع في الإسلام.
- الإبداع في التصور الإسلامي.
- التأصيل الشرعي للإبداع.
- الضوابط الشرعية للإبداع.
- **أثر العقيدة في الدفع إلى الإبداع.**

– أما منهج البحث: فقد سرت على المنهج الاستقرائي والتحليلي؛ وذلك لمعرفة مفهوم الابداع من خلال لغة العرب والنصوص الشرعية وتحليلها للخروج برؤية إسلامية توضح الإبداع وتأصيله وضوابطه ومعرفة مدى تأثير العقيدة على الإبداع.

وقد خرج الباحث بنتائج وتوصيات مهمة سطرتها في خاتمة البحث مؤملا من الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

معنى الإبـداع لغة واصطلاحا

الإبداع في اللغة:

هذه الكلمة أصلها من الاختراع، وهو الشيء يحدث من غير أصل سابق، ولا مثال احتذى، ولا ألف مثله، وهذا الاسم يدخل فيما تخترعه القلوب، وفيما تنطق به الألسنة، وفيما تفعله الجوارح.

والباء والدال والعين أصلان يدلان على شيئين:

أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال.

والآخر: الانقطاع والكلال.

فالأول قولهم: أبدعت الشيء قولًا أو فعلًا، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال، والله هو بديع السموات والأرض، والعرب تقول: ابتدع فلان الركيّ: إذا استنبطه.

والبديع: المحدث العجيب، والبديع أيضًا: المبدع.

وأبدعت الشيء: اخترعته لا عن مثال.

ورجل بدع: إذا كان غاية في كل شيء كان عالمًا أو شريفًا أو شجاعًا.

والأصل الآخر قولهم: أبدعت الراحلة: إذا كلت وعطبت، وأبدع بالرجل: إذا كلت ركابه أو عطبت وبقي منقطعا به [6].

إذن الخلاصة أن الإبداع في اللغة: هو الإتيان بجديد لم يسبق إليه المبدع، ولم يتقدم عمله عمل يشبهه لكي يحتذيه، ولهذا قال الكفوي: "الإبداع لغة: عبارة عن عدم النظير[7]" .

الإبداع في الاصطلاح:

أما من حيث الاصطلاح: فإن الإبداع مصطلح قديم، استعمله العلماء في عباراتهم، يقول الثعالبي[8] في بديع الزمان الهمذاني[9] : "وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية، فيجمع بين الإبداع والإسراع"[10] .

أما في العصر الحاضر: فقد كثر الخلاف والجدل حول وضع حدّ لهذا المصطلح لاسيما في الغرب؛ لأنهم قد سبقونا إلى بحثه وتقديم الدراسات حوله، فعلى سبيل المثال أقامت جامعة يوتا[11] مؤتمرات عدة حول موضوع الإبداع طرح فيه أكثر من مائة تعريف للإبداع[12] .

واجتهد بعض المفكرين في تعريفه ومن ذلك:

– أي فكرة جديدة، أو أسلوب أو مفهوم أو نمط جديد يتم التوصل إليه، ثم استخدامه في الحياة[13] .

---

[6] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، **مقاييس اللغة**، مادة (بدع)، ج1، ص209–210، وابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، **لسان العرب**، مادة (بدع)، ج8، ص6–7، وأبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، ص86.

[7] الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، **الكليات**، ص29.

[8] عبد الملك بن محمد بن إسماعيل 429هـ، يُعرف بأبي منصور الثعالبي النيسابوري، أديب عربي فصيح عاش في نيسابور، وضلع في النحو والأدب، وامتاز في حصره وتبيانه لمعاني الكلمات والمصطلحات. انظر: كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، ج2، ص118.

[9] أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد، المعروف ببديع الزمان الهمذاني 395هـ، كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة. انظر: كتاب مقامات الهمذاني، ص12.

[10] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ج4، ص257، والحموي، ياقوت بن عبد الله، **معجم الأدباء**، ج1، ص268.

[11] جامعة يوتا (بالإنجليزية: University of Utah) هي جامعة عامة، تتواجد في مدينة سولت ليك في ولاية يوتا في الولايات المتحدة، تتواجد فيها كليات طب وعلوم وآداب وقد تخرج منها 24,840 قبل عام 2012م، ويدرس فيها 7,548 طالب، 83 % منهم هُم من ولاية يوتا، و 9 % منهم من مناطق أُخرى، تأسست هذه الجامعة في 28 فبراير 1850م.

[12] د. حسن أحمد عيسى، **الإبداع في الفن والعلم**، ص17.

[13] إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، **الابتكار وتنميته لدى الأطفال**، ص17.

– طاقة عقلية هائلة فطرية في أساسها، اجتماعية في نمائها، مجتمعية وإنسانية في انتمائها[14] .

– سمات استعدادية تضم طلاقة التفكير ومرونته والأصالة، والحساسية للمشكلات، وإعادة تعريف المشكلة وإيضاحها بالتفصيلات[15] .

– القدرة على تطبيق أفكار أصيلة لحل المشكلات، وعلى تطوير نظريات وأساليب، أو إنتاج أشكال فنية وأدبية وفلسفية وعملية جديدة[16] .

أما إذا عرفنا الإبداع برؤية إسلامية فيمكن أن يعرف بأنَّه:

– بذل أقصى الجهد في استثمار جميع الطاقات والإمكانات المتاحة، من أجل بلوغ أعلى درجات الإحسان لإعمار الآجل والعاجل. أو الأداء المتميز لبلوغ أعلى مراتب الإحسان في النوايا والأعمال والأفكار من أجل وصول القمة في الدنيا، والفردوس الأعلى في الآخرة. أو استغلال جميع الطاقات والإمكانات والقدرات المتاحة واستثمارها بأعلى أوتارها للالتحام التام بين الدنيا والآخرة[17] .

والخلاصة: أن المعنى الكلي للإبداع لابد أن تجتمع فيه ثلاث صفات أساسية هي:

1 – الحداثة أو التجديد : فالمنتج الإبداعي أو العمل الإبداعي شيء يختلف عن المألوف.

2 – الفاعلية: فالمنتج الإبداعي بصرف النظر عن نوعه لابد أن يحقق هدفًا في الواقع، وقد يكون هذا الهدف جماليًّا أو فنيًّا أو ذوقيًّا، وقد يكون ماديًّا.

3 – الأخلاقية: فالإبداع ينبغي أن يلتزم بالقيم الأخلاقية، فلا يستخدم مصطلح الإبداع لوصف السلوك الهدام، أو الجرائم، أو إثارة الشغب، أو الفتن والحروب، وما أشبه ذلك، أي: أنه لا إبداع في الشر[18] .

أهمية الإبداع في الإسلام

إن للإبداع اهتماما واضحا في الساحة العالمية، فيُعدُّ عصب الحضارة المادية التي تقوم على التكاثر المعرفي والسباق التقني والفني، وإن الراصد لحركة التاريخ وتجارب الحضارات الإنسانية نهوضًا وانكسارًا، يرى اللحمة الوثقى بين تفعيل دور المبدعين وتعطيله وبين هذا النهوض والانكسار.

---

14 السويدان، د. طارق السويدان وآخرون، **مبادئ الإبداع**، ص17.

15 جروان، فتحي عبد الرحمن، **الموهبة والإبداع والتفوق**، ص85.

16 جابر عبد الحميد جابر وآخرون، **معجم علم النفس والطب النفسي**، ج2، ص799.

17 انظر: المومني، إنصاف أيوب، **توظيف السنة النبوية في بناء الشخصية الإبداعية**، ص3 – 6.

18 كروبلي، آرثر، **الإبداع في التربية والتعليم**، ص10–11، ترجمة د. إبراهيم الحارثي ومحمد مقبل، بتصرف يسير.

إن الأمة الإسلامية وهي تطمح وتستشرف إلى الشهود والإبداع الحضاري، وتفعيل دورها الغائب المرتقب، لابد لها من العودة إلى عقيدة التوحيد المستقاة من الينابيع الأولى التي استقى منها الرعيل الأول والسلف الصالح تجربته الإبداعية الرائدة؛ انطلاقًا لبناء النخبة المبدعة التي تمثل عقل الأمة وقلبها النابض لتصمد في مواجهة هذه الأعاصير العاتية من الداخل والخارج، والتي تسعى لتجتث ثوابتها العقدية، وربما أدنى حقوقها الإنسانية، "فإن المبدعين الإسلاميين وما ينجزون من إبداعات إذا تكاملت متطلبات تنشئتهم ورعاية مواهبهم، فإنهم سيصبحون من أبرز الأدوات الحضارية في توجيه طاقات الأمة، ووقاية مقوماتها، من حيث: كوادرها ونسقها العقدي وثقافتها ورسالتها الحضارية ولغتها ومؤسساتها وحمايتها من التخلخل الداخلي الذي يهدد بناها الأساسي، ومن التغلغل الخارجي الوافد الذي يهدد كيانها ورسالتها الحضارية، إضافة إلى تهديد قدرتها على التجديد والإتقان والتميّز[19]" .

فمن مخادعة الذات أن نبحث عن أصحاب نظريات أرضية وضعية لعلها تضيء لنا ظلمة العصر الحالكة، فتختلط الرؤى ويتعثر المسير، ونغفل ونتجاهل أن (التفوق المادي الغربي) كان امتدادًا للمنهجية النَّبوية في الدعوة إلى العلم والتعلم، والتمييز والابتكار والإتقان، وصناعة الطليعة المبدعة التي سُعدت بها الإنسانية، فاختزلت الزمان والمكان واحترمت الأديان، وصانت كرامة الإنسان، خلافًا للحضارة المعاصرة، وبالرغم من أنها شيدت العمران، إلا أنها أذلت الإنسان وأقصت التوحيد والأديان، وإن علا صوتها ولمع بريقها في الأرض والأنفس والآفاق[20] .

إن الأمة اليوم أحوج ما تكون إلى إعادة بناء ذاتها العقدية والثقافية والحضارية، وتحديد هُوِيتها، بعد أن أصابها كثير من العبث والغبش.

ونحن اليوم في مرحلة (العولمة)[21] التي فرضت نفسها على العالم بمختلف الوسائل الاقتصادية والسياسية والإعلامية، وأصبحت مضامينها إطارًا من الاتصال والتواصل والتفاعل مما أعطاها الغلبة، وجعل ذلك الإطارُ الغالبُ كلَّ شعب من شعوب الكرة الأرضية يعيش –بتأثير ذلك الإطار– حالة جدل بين الماضي والحاضر والمستقبل، بين ماضيه وحالة عصره، وهنا لابد من توفير القدرة على الاستيعاب والتجاوز لبلوغ عتبة (الإبداع).

---

19 رمزي، عبد القادر هاشم، **مفهوم الإبداع في النسقية الإسلامية**، مجلة إسلامية المعرفة، عدد 41، 2005م، ص13.

20 انظر: المومني، إنصاف أيوب، **توظيف السنة النبوية في بناء الشخصية الإبداعية**، ص14 – 15.

21 لفظة العولمة هي ترجمة للمصطلح الإنجليزي (Globalization) وبعضهم يترجمها بالكونية، إلا أنه في الآونة الأخيرة اشتهر بين الباحثين مصطلح العولمة، وأصبح هو أكثر الترجمات شيوعًا، وتحليل الكلمة بالمعنى اللغوي يعني تعميم الشيء وإكسابه الصبغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله.

لقد واجهت أمتنا حروبًا وعلاقات معقدة ضد البيزنطيين والفرس ثم الصَّليبيين، ثم المغول، ثم الطرد من الأندلس وكثير من البقاع الأوربية التي وصلها المسلمون.

ثم بدأت مواجهة من نوع جديد، مواجهة الحملات التنصيرية التي لم تتردد في أن تكون ستارًا ومقدمة وطليعة للغزو والاحتلال فيما بعد.

وهي تواجه اليوم حالة محو للهوية، وتدمير للخصوصيات بسائر أنواعها، ولن تتمكن من حماية دعائم هُويَّتها، والمحافظة على خصوصياتها، بدون تجنيد شامل لطاقات أبناء الأمة وفصائلها المختلفة، ودفعهم باتجاه الإبداع والإتقان، لبلوغ حالة التجديد التي تخرج الأمة من حالة الانفعال إلى حالة الفعل، وترشحها للشراكة في صناعة الفعل بدلًا من الانفعال السلبيّ[22] .

"وإذا كانت غاية الوجود الإنساني هي تحقيق العبودية لله تعالى –بمفهوم العبودية الشامل– فإن مهمة الإنسان ووظيفته تكمن في الاستخلاف، والعجيب أن كثيرًا من المسلمين اليوم يهتم بالعبادة وينسى الوظيفة الملقاة على عاتقه، لدرجة أن الخطاب الإسلامي اليوم يهمل –إلا من رحم الله تعالى– مهمة الاستخلاف من مفرداته، مع أنها توأم الغاية، لأن الاستخلاف لا يكون إلا لتحقيق مفهوم العبودية، والأعجب أن الغرب هو من يقوم بمهمة الإعمار، ولكنها مهمة بعيدة عن الغاية، فكانت المعادلة: حضارة مادية غريبة يغيب عنها المعنى الروحي والأخلاقي، ومن جانب آخر يطبق المسلمون الغاية بعيدًا عن وظيفة الاستخلاف، وكل ذلك خلل في الاتجاهين العبودية والاستخلاف. ومن هنا لزم المسلمون العناية الحقيقية بالإبداع والمبدعين من خلال تصور إسلامي للإبداع وفق غاية العبودية ووظيفة الاستخلاف[23]" .

إن الإبداع سمة إنسانية ميَّز الله تعالى بها هذا الإنسان عن غيره من المخلوقات، والله تعالى هو خالق الإنسان المبدع، ومن هنا فإن الإبداع إنما هو وسيلة من وسائل تحقيق العبودية لله تعالى، بالخضوع والطاعة له، والانقياد لمنهجه، فيلزم هذا المخلوق أن يوجه إبداعه لما يحبه الله ويرضاه، وأي خروج للإبداع عن هذا المسار فهو عبث ووبال على صاحبه؛ لأنه وظَّف إبداعه لغير ما أراد خالقه سبحانه وتعالى، الذي رسم له الغاية العظمى من وجوده بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:56]

وهذه الغاية يغفل عنها علماء الإبداع في أدبياتهم ومؤلفاتهم ونظرياتهم عن الإبداع! وليس الحديث هنا عن علماء الغرب فحسب؛ بل –للأسف– نجد أن علماء الإبداع من التربويين المسلمين –إلّا من رحم الله– يغفل عن توجيه الإبداع التوجيه الصحيح؛ نحو تحقيق العبودية لله تعالى.

---

[22] العلواني، طه جابر، **كلمة التحرير**، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الحادية عشر، العدد 41، صيف 1426هـ - 2005م، ص6، 9، بتصرف.

[23] العجين، علي بن إبراهيم، **الإبداع رؤية إسلامية**، ص7 –8.

وهذه الغفلة تؤثر تأثيرًا بينًا في بيان مصدرية الإبداع، ووضع نظرياته، وتوجيهه، وتدريسه، والعجب أن يتغافل بعض الكتَّاب عن الحديث عن الحقبة الإسلامية عند حديثهم عن تاريخ الإبداع! أو غض النظر عن تحليل الشخصيات الإسلامية المبدعة، ودراسة تاريخها الإبداعي، مقلدين في ذلك الكتَّاب الغربيين!.

ومن خلال بيان هذه الغاية للإبداع في الفكر الإسلامي، نقدم دعوة للتربويين المسلمين وعلماء النفس والمهتمين بدراسة الإبداع، إلى الانطلاق من هذه الغاية، بوضع نظرية إسلامية عن الإبداع، وتوجيه مساره تعليمًا وتطبيقًا بما يتناسب مع المنهجية الإسلامية[24] .

الإبداع في التصور الإسلامي

سبق بيان معنى الإبداع لغة واصطلاحا وتوجد مصطلحات مقاربة للإبداع من المصطلحات الشرعية والتي تستوعب الإبداع وتتجاوزه إلى فضاء أوسع؛ وهي: التجديد، والإحسان، والاجتهاد، والسنة الحسنة، والتي تستوعبه وتتجاوزه إلى فضاء أوسع.

وسأبين مدلول هذه المصطلحات باختصار:

- التجديد:

يؤصل الرَّسول ﷺ للتجديد ويخبر عنه كونه من السنن الربانية العاملة في الحياة الإنسانية، يقول ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدِّد لها دينها[25]» .

وهذا يعمل على تحريك العقل المسلم من حالة الاجترار والتكرار والسكون إلى حالات التحدي والابتكار والابداع والحركة[26] . فالدعوة التجديدية يجب أن تمسَّ وتتعمق الأشياء والظواهر، فعلى المسلم أن يُلمَّ بمعرفة كيف يتم إبداع الأشياء[27] .

"فالتجديد [28] ظاهرة تاريخية تبرز كلما اعترى المسلمين ذبول في دوافع الإيمان، وخمول الفكر وجمود الحركة واستفزهم التحدي الخارجي[29]" .

---

24 العجين، علي بن إبراهيم، **الإبداع رؤية إسلامية**، ص24-25.

25 أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، برقم (2491)، ج4، ص109، والحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الفتن والملاحم، برقم (8592)، ج4، ص567، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، **في سلسلة الأحاديث الصحيحة**، برقم (599)، ج2، ص148.

26 انظر: سعاد الناصر، **الدعاء سبيل الحياة الطيبة**، ص54.

27 انظر: مالك بن نبي، **وجهه العالم الإسلامي**، ص55-56.

28 لمزيد من التفصيل ينظر: الكتاني، إبراهيم وآخرون، **تجديد الفكر الإسلامي**. محمد عمارة، **أزمة الفكر الإسلامي المعاصر**. وقائع مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي.

29 الترابي، حسن، **الصحوة الإسلامية والدولة في الوطن العربي**، مجلة حوار، عدد 8، 1987م، ص9.

ولا يعني التجديد الانقلاب على الثابت والأصيل من الإسلام، ولا الإتيان بشيء جديد، أو سلوك طريق جديد من غير ثوابته الشرعية، ولكن العودة إلى الإسلام بحالة صفائه للإتيان به جديدًا كما كان في عهد النقاء الإسلامي، وكما فهمه الرعيل الأول؛ ليكون المسلم بمستوى عصره لتجاوز طوق المكان (عالمية الإسلام) من جهة، وتجاوز طوق الزمان (امتداد مسائل الحياة وتجددها) من جهة أخرى.

– الاجتهاد:

الاجتهاد لغة: بذل الوُسع، والمجهود[30] .

والاجتهاد في اصطلاح الأصوليين: بَذْلُ الفقيه غايةَ جهده في تحصيل حكم شرعي ظنّي، بحيث يشعر من نفسه أنه عاجز عن المزيد من ذلك [31].

والإبداع والاجتهاد رديفان، من الصعب أن ينفكَّ أي منهما عن الآخر، وإذا كان المشرع لم يكثر من استعماله، إكثاره من استعمال مفهوم الاجتهاد؛ فلأن الاجتهاد أعمّ منه، يشملُه ويتجاوزه إلى آفاق أخرى.

فالاجتهاد إذًا هو بذل الجهد العقليّ والنفسيّ للوصول إلى ظنّ بحكم شرعيّ حتى يعجز المجتهد عن بذل المزيد، لكن الاجتهاد في مادته اللُّغوية عامّ شامل، حيث تحتاج أمور هذه الحياة المتعددة أن يبذل الإنسان كل ما لديه من طاقة عقليَّة ونفسيَّة لمعالجتها، وللوصول إلى تصورات سليمة حول كل منها، عندما تواجهه في أي مرحلة من مراحل حياته الطويلة، سواء تعلق هذا الاجتهاد بحكم شرعيّ أو عقليّ أو طبيعيّ؛ ولذلك فإن تخصيص الأصوليّين له بالظن بالحكم الشرعيّ هو اصطلاح لهم لا يزيل عن الاجتهاد بقية معانيه، ولا يغلق بوجهه الميادين الأخرى التي يمكن أن ينفتح عليها. ولذلك قلنا بأنه رديف الإبداع فالإبداع والاجتهاد –كل منهما أو هما معًا– يتعاضدان لتجنيد جميع الطاقات الإنسانيّة، لبناء تصورات تمكن الإنسان من أداء دوره المأمول في هذه الحياة، وتساعده على تحقيق غاية الخالق من خلقه وغاية إيجاده فيها.

– الإحسان:

ما ورد من حديث عمر، عن النبي ﷺ: –السائل هو جبريل عليه السلام، والمجيب هو النبي ﷺ–، قال: «فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[32] .

---

30 الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح**، ج1، ص460.

31 التهانوي، محمد بن علي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، ج1، ص198.

32 البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، برقم (50)، ج1، ص19.

"فالعبادة في الرؤية الإسلامية، مسارٌ مفتوحٌ على كلِّ فعل إسلامي يقوم به المسلم طلبًا لمرضاة الله سبحانه وتعالى، وبناءً على هذا الأساس يجب أن يكون كلُّ فعل الإنسان المسلم إسلاميًا، وكذلك إيمانه الذي يطلب منه أن يتقن أداءه ويبدع في التزامه، وفي أداء كل عمل يقوم به؛ لأنه عبادة"[33] .

وهنا يبرز مفهوم الإبداع الإسلامي، حيث يتفاوت المسلمون في أداء عباداتهم، والفيصل في هذا التفاوت هو "السعي إلى التميز في النوايا والأفكار والأعمال للارتقاء في درجات الإبداع، حتى بلوغ مراتب الإحسان، ابتغاء السعادة التي هي نوال رضوان الله سبحانه وتعالى"[34] .

ويتكامل مع الحديث السابق قوله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة...»[35] ، "وفي هذا الحديث توسيع فضاء الإحسان بحيث يستوعب كل فعل إسلامي. فهو الثمرة الحقيقية للإيمان إذ يسعى المسلم بعمله للوصول إلى درجة الإحسان للاستمرار في تحسين الأداء"[36] .

– السُّنَّة الحَسَنَة:

قال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كُتب له مِثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده، كُتب عليه مثل وزْر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»[37] . وفي هذا الحديث دعوة إلى التفكير المبدع الذي يُسن سنة حسنة، أي أن يبتكر شيئًا جديدًا فيه نفع وخير للناس[38] .

وفيه إشارة إلى أن الإبداع الإسلامي يترتب عليه فائدة للإنسانية وإذا فُقد هذا الركن دخل في إطار (سُنّة سيئة)، فلا يعد الإبداع المظلم من: فنٍّ هابط، وأسلحة الدمار المحرمة شرعيًا ودوليًا إبداعًا، فهو لا يرقى برتبة فكر، ولا يسمو بنفس.

---

33 عبد الحميد أبو سليمان، **إسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق، الجامعة الإسلامية نموذجًا**، مجلة إسلامية المعرفة، عدد 26، 2001م، ص115-150.

34 رمزي، عبد القادر هاشم، **مفهوم الإبداع في النسقية الإسلامية**، مجلة إسلامية المعرفة، عدد 41، 2005م، ص23.

35 النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، برقم (1955)، ج3، ص1548.

36 هشام الطالب، **دليل التدريب القيادي**، ص46.

37 لنيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، برقم (1017)، ج2، ص704.

38 يسرى محمد أرشد، **حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي**، سلسلة كتاب الأمة، عدد 114، 1427هـ، ص71.

ومما يجدر الإشارة إليه أيضًا: أن هناك مغايرة بيّنة بين السُّنَّة الحسنة (والبدعة)، فالبدعة: الحَدَث في الدين بعد الإكمال، أو ما استُحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال، أو ما أحدث على خلاف المتلقَّى عن رسول الله ﷺ، وقد استخدم الصحابة اصطلاح البدعة مقابل السنَّة، فعدّوا كلّ خروج عن السنّة بدعة[39] .

التأصيل الشرعي للإبداع

يمكن التأصيل الشرعي للإبداع بالأصول الآتية:

الأصل الأول: استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض:

قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾ [الأنعام:156]، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة:30] ، وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[40] .

فالاستخلاف في الأرض يتطلب أن يبدع الإنسان في شتى مجالات الحياة، حتى يتحقق به استعمار هذه الأرض بالعلم والحضارة والتقدم.

فالإبداع من ضرورات الاستخلاف ولذلك كان الإبداع والانتاج الإبداعي من خصائص البشر ميز الله تعالى بها الإنسان عن غيره من المخلوقات حتى يتسنى له القيام بمهمة إعمار الأرض من خلال وظيفة الاستخلاف.

الأصل الثاني: تسخير الكون وما فيه للإنسان:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢﴾ [إبراهيم:32] وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ [الجاثية:13].

---

39 القيسي، مروان إبراهيم، **معالم الهدى إلى فهم الإسلام**، ص85.

40 النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، برقم (2742)، ج4، ص2098.

الإبداع هو الوسيلة التي تؤدي إلى تحقيق تذليل وتهيئة ما في الكون لخدمة الإنسان، سواء كان في المجال المادي اللباس، الطعام والشراب، المسكن، المواصلات، أو الجوانب الفكرية والعلمية، أو الجوانب الجمالية.

يقول د. عبد الرحمن العيسوي: "وهكذا يؤدي الإبداع إلى تطويع الطبيعة للإنسان، وتسخيرها في خدمته ونفعه"[41] ، والمتأمل في جميع الابتكارات والاختراعات يرى أنها تحقق معنى التسخير الذي امتن الله تعالى به على عباده.

الأصل الثالث: تحقيق المنافع البشرية:

قال النبي ﷺ: «احرص على ما ينفعك»[42] ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس»[43] ، وهذا يشمل منافع الدنيا والآخرة، ولا شك أن الإبداع حقق للبشرية منافع عظيمة عبر التاريخ، وما زال تحقيق هذه المنافع مرتبط بقدرة الإنسان على الإبداع.

الضوابط الشرعية للإبداع

الإبداع الإسلامي تحكمه جملة ضوابط لا يمكنه أن ينسلخ منها، فعلى رأس هذه الضوابط:

1 – الهدف والغاية السامية من العلم والإبداع:

فقد قال رسول الله ﷺ: «من تعلَّم علمًا مما يُبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[44] ، فلا يُعدُّ الإبداع المظلم من فن هابط يغرق بالإسفاف الروحي، والصور السلوكية والأخلاقية المنفّرة، ولا أسلحة الدمار الشامل إبداعًا يرقى بالنفس ويخدم الإنسانية. فالإبداع الإسلامي يستقل بارتباط كلِّ فعل إسلامي بالنية الخالصة لله والتقوى، (اتقي ترتقي).

---

41 د. نادية عبده عواض أبو دنيا وآخرون، **سيكولوجية الإبداع**، ص13.

42 النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (2664)، ج4، ص2052.

43 أخرجه ابن أبي الدنيا في **كتاب قضاء الحوائج** برقم (36)، ص47، وحسنه الألباني في **صحيح الجامع الصغير**، برقم (176)، ج1، ص97.

44 أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى، برقم (3664)، ج3، ص323، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، **في صحيح الجامع الصغير**، برقم (6159)، ج2، ص1060.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الله تعالى يحبُّ إذا عمل أحدكم عملا أن يُتقنه»[45] .

2 – أن لا يحلَّ حرامًا، ولا يحرم حلالًا:

ويدخل في ذلك: كل إنتاج إبداعي يكون مقصده تحليل الحرام، أو تحريم الحلال، فالحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾ [المائدة:10]

3 –إبداع لا ابتداع:

فعند الحديث عن الإبداع نتنبه لموضوع الابتداع في الدين؛ بإدخال أمور في دين الله –تعالى– لم يأذن بها الشارع الحكيم، ولكن ما كان من وسائل وأساليب تخدم دين الله تعالى، وثبت عدم بدعيتها؛ فمجال الإبداع مفتوح لها؛ كالإبداع في وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وكذلك ما كان في أمور الدنيا؛ بما يحقق مصالح العباد، فالإبداع فيه مطلوب، ولا يدخل في موضوع الابتداع.

4 – أن يراعى في الإنتاج الإبداعي الأخلاقيات الإسلامية:

سواء في اكتساب الإبداع، أو البحث فيه، أو أهدافه؛ بحيث يكون مصدره بطريقة مشروعة من غير سرقة أو تزوير أو خداع.

فالإنتاج الإبداعي في كل مجال من المجالات الحياتية إذا التزم بهذه الضوابط، فهو يحمل الصيغة المشروعة، والله أعلم[46].

إن رسولنا الكريم ﷺ أعظم قدوة في الحث على الإبداع، فقد حث الرسول ﷺ على علو الهمة وتألق الطموح، لنيل المرتبة في أعلى مراتب الجنة تلك التي يسعى إليها كل مُنْتَمٍ لهذا الدين، المقترنة بالعبادة الفاعلة (الفعل المتقن)، المجتثة من حبائل الرياء، ومحبطات العمل ومثبطاته.

يقول النبي ﷺ: «الجنة مائة درجة، كلُّ درجة منها بين السماء والأرض، وإن أعلاها الفردوس، وإن العرش على الفردوس، منها تفجَّر أنهار الجنة، فإذا ما سألتم الله فسلوه الفردوس»[47] .

---

[45] أخرجه أبو يعلى في **مسنده** برقم (4386)، والطبراني في **الكبير** برقم (776)، وفي **الأوسط** برقم (897)، وحسنه الألباني في **صحيح الجامع الصغير**، برقم (271).

[46] العجين، علي بن إبراهيم، **الإبداع رؤية إسلامية**، ص19–21، والمومني، إنصاف أيوب، **توظيف السنة النبوية في بناء الشخصية الإبداعية**، ص17.

[47] ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، باب صفة الجنة، برقم(4331)، ج5، ص379، واللفظ له، والبخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧]، ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

بل إن سيرته العملية ونشأته تؤكد ذلك فلقد: "ولدت همَّته عليه الصلاة والسلام معه يوم ولد، فمنذ طفولته ونفسه مهاجرة إلى معالي الأمور ومكارم الخلق، ولا يرضى بالدون بل هو الطموح السبَّاق المقدام المتفرد والمبرز المحظوظ، وكان فيه قبل النبوة من سمات الريادة والزعامة والقيادة ما جعل قريش يسمونه الصادق الأمين، ويرضون حكمه ويعودون إليه في أمورهم"[48] .

فلمّا منَّ الله عليه ببعثه تاقت نفسه إلى الوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنة، فسأل الله إياها، وعلَّمنا أن نسألها له من ربه، وحاز بالكمال البشري المطلق، والفضيلة الإنسانية، ومن علو همته، ورفضه للدنيا وعدم الوقوف مع مطالبها الزهيدة لولاياتها ومناصبها وقصورها ودورها [49].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[50] .

وليتوقف الموحد أمام هذا الحديث ويفكر في هذا الأفق الواسع المفتوح أمام المؤمن ليختار مكانه، وفي أي منزلة يكون!.

كما يتأمل الموحد هذا الحديث النبوي والذي يدعو للإبداع والإتقان صراحة، فقد روى أبو بكر بن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا «إن الله يحب العبد المؤمن المحترف[51]» ، وروى ابن أبي الدنيا في

[التوبة: ١٢٩]، برقم (2790)، ج9، ص125، بلفظ «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة».

48 القرني، عائض، **محمد صلى الله عليه وسلم كأنك تراه**، ص58.

49 **المصدر نفسه**، ص58.

50 متفق عليه، أخرجه النيسابوري، مسلم بن الحجاج، في **صحيحه**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء، برقم (2831)، ج4، ص2177، واللفظ له، والبخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم (3256)، ج4، ص119.

51 هذا الحديث جاء من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وعنه سالم ابنه، ومجاهد.

أما رواية سالم، فقد رواها **الطبراني في الكبير والأوسط** وقال بعده: «لم يرو هذا الحديث عن سالم إلا عاصم بن عبيد الله، تفرد به: أبو الربيع السمان، ولا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد». والقضاعي في **مسنده**، والبيهقي في **شعب الإيمان**، وقال: «تفرد به أبو الربيع عن عاصم وليسا بالقويين»، وابن عدي في الكامل في ترجمة أبو الربيع السمان وقال: «مع ضعفه يكتب حديثه»، وابن النجار والحكيم الترمذي (نسبه إليهما السيوطي في الجامع) والديلمي، وأورده ابن الجوزي في **العلل المتناهية** (968) وقال: «لا يصح»، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عاصم بن عبيد الله، وهو ضعيف»، وانتقد الألباني –رحمه الله– في **السلسلة الضعيفة** إعلال الهيثمي للحديث بعاصم فقط؛ لأنه معل برجل آخر أضعف من عاصم وهو أبو الربيع السمان، وهو متروك. وقال السيوطي في **الدرر**

كتاب إصلاح المال، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعًا «طلب الحلال جهاد، وإن الله يحب العبد المؤمن المحترف»[52] .

ويبدو جليًا أن المعطيات النبوية تؤكد وبصورة متوالية على رفع الهمم، والرقي برتبة الطموح، والانفلات من التواكل والكسل والرضا بالواقع الأدنى، ورفض الوقوع تحت سطوة حالة العجز والانكسار على الأقدار مع القدرة على امتلاك زمام الفعل والبناء المتقن والإبداع والتغيير للدخول في السباق الحضاري.

أثر العقيدة في الدفع إلى الإبداع

لقد عنيت عقيدة التوحيد ببناء الصدر الأول، جيل التلقّي والتأسي، والحملة الأُول لرسالة الإسلام، وفقًا لهذه المنظومة المتلازمة التي تمكنت أن توجد ذلك الجيل المتَّبع دون تقليد، والمبدع دون تجاوز، والمجتهد دون افتآت، والمجدد دون تهوُّر أو تبديد؛ فكان جيلًا نموذجيًّا رائعا، عرف كيف يواجه قضايا الحياة وتحدياتها، فلم يَعُدِ العَدَدُ والكمُّ كل شيء في الحياة، ولم تعد القوة الماديّة صاحبة الشأن الأكبر، فهذه القوة الماديَّة لها حسابها، ولكن الحساب الأكبر في ذلك الجيل كان لقوة عقيدة التوحيد التي تنبثق عنها الإرادة والفاعليَّة، والمثالية ومن هنا جاء القرآن الكريم يطالب المسلمين بأن يقف الواحد منهم بمقابلة عشرة من أعداء الحق والخير، ودعاة الجمود على الآبائيَّة والتقليد والاتباع للشيطان، وعلَّل ذلك بأنهم قوم لا يفقهون، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنفال:65]، وعدم الفقه هذا ناجم عن تعطيل العقول، وإعفائها من مسئولياتها. وبدلًا من إعمال العقول قلد هؤلاء الذين لا يفقهون آباءهم، وجمدوا على

المنتشرة: «في سنده متروك»، وقال المناوي في **الفيض القدير** 291/2: «ونقل الزين العراقي والزركشي تضعيفه عن ابن عدي وأقره، وقال المصنف: في سنده متروك، قال السخاوي: لكن له شواهد».

وأورده الفتني في **تذكرة الموضوعات** وقال: «وفي المختصر... ضعيف»، ومراده بالمختصر: مختصر الفيروزأبادي صاحب القاموس لكتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار للحافظ العراقي في تخريج كتاب إحياء علوم الدين، وأورده الزركشي في **اللآلئ المنثورة** وقال بعده: أبو الربيع متروك. ونقل الشوكاني في **الفوائد المجموعة** عن صاحب المختصر المذكور ضعفه، وقد ساق الذهبي هذا الحديث في **ميزان الاعتدال** في ترجمة أبي الربيع السمان وفي ترجمة عبيد بن إسحاق أيضا في جملة ما أنكر عليهما من الأحاديث.

وأما رواية مجاهد فقد رواها محمد بن مخلد في **فوائده** (25)، وكذلك ابن ثرثال في **جزئه المطبوع ضمن فوائد ابن منده** (212)، ومن طريقه القضاعي في **مسند الشهاب**، وقال أبو حاتم في **العلل** عن حديث مجاهد عن ابن عمر: «هذا حديث منكر».

[52] رواه محمد بن مخلد في **فوائده** (26)، وابن أبي الدنيا في **جزء في إصلاح المال** (193)، ورواه القضاعي في **مسند الشهاب**، وضعفه الألباني في **السلسلة الضعيفة** 466/3، وأعله بليث بن أبي سليم، ضعيف اختلط.

وأورده السخاوي في **المقاصد الحسنة**، وبعض ما جاء في الباب من الآثار في معناه وقال: «ومفرداتها ضعاف ولكن بانضمامها تقوى»، قال العجلوني في **كشف الخفاء**: «أي فيصير الحديث حسنا».

الماضي، واتبعوا الشيطان حتى كانوا من أوليائه، ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج:4]، وكأن القرآن الكريم يُبين أن هذا الفارق الكبير، المعلَّل بعدم الفقه عند أعدائهم، يعني أن المؤمنين قوم يفقهون، ولأنهم يفقهون استحقوا الغلبة والنصر، وأن تقاس قوة الواحد منهم بعشر من مخالفيهم، وبعد التخفيف استقر الأمر على أن المؤمن الواحد يعدل اثنين من أولئك الذين لا يعقلون ولا يفقهون.

والفقه هنا مفهوم شامل للفقه في الحياة بشكل تام وكامل، فهو فقه أكبر، وفهم أشمل في سائر قضايا الحياة ومسائلها.

إن الإيمان بالله تعالى من شأنه أن يفتح أمام العقل مجال النظر المعرفي إلى أكبر مدى ممكن، فتنفسح له مادة العلم ومعطياته بأكثر وأوسع ما يمكن أيضًا؛ ذلك لأن الإيمان بالله يجعل نظر العقل ينفتح على مدى عالمين اثنين: عالم مشهود هو عالم المخلوقات الكونية، وعالم غيبي هو وجود ما وراء المادة، وإذا ما انفتح نظر العقل على هذا المدى الشمولي فإنه حينئذ سيتجاوز ما هو محسوس إلى ما هو غير محسوس وملموس ليتخذ منه مجالًا في تقدير الحقيقة والبحث عنها.

أن عقيدة التوحيد تؤسس في الإنسان أركان الشخصية العاملة التي لا تهزها الرياح، ولا تقهرها الظروف المعاكسة، ولا تزري بها المشكلات والعوائق؛ لأنها شخصية قوية بقوة التوحيد، أصلها ثابت وجذورها عميقة.

وإتقان الموحد لعمله وإبداعه فيه يتوافق مع ما سنه الله تعالى وقدره لكونه وخلقه، يقول ابن القيم رحمه الله: "فليس في الكائنات شيء غير الله عز وجل يسكن القلب إليه، ويطمئن به، ويأنس به، ويتنعم بالتوجه إليه، ومن عبد غيره سبحانه وحصل له به نوع منفعة ولذة، فمضرته بذلك أضعاف أضعاف منفعته، وهو بمنزلته أكل الطعام المسموم اللذيذ، وكما أن السموات والأرض لو كان فيهما آلهة غيره سبحانه لفسدتا، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء:22]، فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى فسد فسادًا لا يرجى صلاحه إلا بأن يخرج ذلك المعبود منه، ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه ويتوكل عليه وينيب إليه"[53] .

نعم كما أن هذا الكون لا يصلح بوجود إلهين اثنين، فكذلك قلب العبد، وإن الموحد أولى الخلائق بإتقان عمله، والإبداع فيه إذا أخذ وامتثل بسنن الله الكونية والشرعية.

---

[53] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، ج1، ص30.

إن سُنة الأسباب عامة في الخلق والكون، والناس تجاهها متساوون، والمسلمين أُمروا كغيرهم بالأخذ بها، والسير على منوالها؛ لأن الله عز وجل أراد أن يُعلِّم الأمة المسلمة الناشئة أن تعيش بين الأمم –كما يعيشون– تأخذ بالأسباب وتتخذ الوسائل إلى النتائج، ثم تتميز بعد ذلك على سائر الأمم بمنهجها الذي تُتبعه إخلاصها لربها، وإتقانها لأعمالها، فتضفي منه إبداعاً غير قليل على علاقتها بأبناء نوعها، وعلى علاقتها بالكون والحياة على السواء.

وعقيدة التوحيد تقتضي أن يأخذ المسلم بالأسباب التي خلقها الله في الكون مرتبطة بالمسببات، ولكنه في ذات الوقت لا يتوجه إلى هذه الأسباب بالعبادة بحيث يعتقد فيها أنها مستقلة بالفعل.

ومن هذه المبادئ التي استوحاها علماء الإسلام عن قانون السببية اشتقت أوروبا مبادئ التفكير العلمي، وأوجدت قوانين العلم الحديث، والتي على أساسها تكوَّن الإبداع، ونَمَا وازدهر.

وحين يقرُّ الإنسان بتوحيد الله تعالى في ربوبيته للكون، وأنه ربُّ كل شيء وخالقه ورازقه ومليكه، وأنه يسيِّر الكون كله وفق سنن وحوادث ثابتة، من أصغر ذرة إلى أكبر مجرَّة، فنرى الموحِّد يُحسن التعامل مع السنن الكونية، ويَنْظر إلى الكون نظرةً صحيحة منضبطة بالمنهج السليم في النظر والتفكير.

إن أي تغيير شامل ناجح في الدنيا والآخرة لن يتحقق إلا من خلال العقيدة الصحيحة، وهذا هو منهج الإسلام وتجربة قدوتنا ﷺ، حيث أمره الله تعالى أن يثبت عقيدة التوحيد في نفوس الرعيل الأول، ويعمل لأجلها كل ما في وسعه، لأنه إذا تقررت العقيدة الصحيحة في النفوس يسهل تحقيق كل شيء، فالتغيير الجذري تظهر حقيقته بعد تحقيق عقيدة التوحيد الفعالة المؤثرة [54].

فلقد مكث النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً من دعوته يرسخ مفهوم التوحيد ويجذره في نفوس المسلمين، لذا كان يحرص عليه الصلاة والسلام على أن يكون أول ما يلقن الطفل بعد ولادته (التوحيد) شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، فقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه: «أذَّن في أُذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة» [55] .

ويُبرِز المؤمن إبداعاته من خلال الفهم الواسع لعقيدة الإيمان بالأسماء الحسنى.

إن المؤمن الذي يتطلع إلى الإبداع، يدرك انعكاس وصف الله بالبديع على الصنعة المبْدَعة في الكون، فيستيقن بوحدانية الله، وتفرُّده وقدرته، ويدرك مكانه ومكانته في الكون البديع، ويسعى إلى الإبداع وإتقان

---

54 القرة داغي، علي محيي الدين، **العقيدة الإسلامية**، دراسة الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية عن دار بريل في لايدن (ايسيسكو)، ص 97–98، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

55 رواه أبو داود في **سننه** برقم (5105)، وصححه الألباني في **صحيح سنن أبو داود** برقم (4258).

العمل على نحو بديع، ومَنْ أيقن بإبداع الله تعالى كل شيء، فجّر الله تعالى ينابيعَ الحكمة من لسانه، وأدخله الله تبارك وتعالى في دائرة الإبداع.

ومن أسماء الله تعالى التي لها علاقة وطيدة ومؤثرة في الإبداع والإتقان: المحسن، فهو محسن يحب الإحسان، ولذا كتب الإحسان على كل شيء، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله محسن يحب الإحسان، فإذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قلتم فأحسنوا»[56] .

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين أنه قال: «إن الله محسن يحب الإحسان، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة؛ وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، ثم ليرح ذبيحته[57]» .

فإذا كان العبد مأموراً بالإحسان إلى من استحق القتل من الآدميين، وبإحسان ذبحة ما يراد ذبحه من الحيوان، فكيف بغير هذه الحالة؟

عن كليب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن»[58] .

قال ابن القيم رحمه الله:

والله لا يرضى بكثرة فعلنا ... لكن بأحسنه مع الإيمان

فالعارفون مرادهم إحسانه ... والجاهلون عموا عن الإحسان

والإحسان هو غاية الوجود الإنساني، قال جل جلاله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [المُلك:2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف:30]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:7]، ولم يقل: أكثر عملاً، فإذا عرف العبد أنه خُلق لأجل أن يختبر في إحسان العمل، كان حريصاً على الحالة التي ينجح بها في هذا الاختبار؛ لأن اختبار رب العالمين يوم القيامة، من لم ينجح فيه جر إلى النار، فعدم النجاح فيه مهلكة، وقد أراد جبريل عليه السلام أن ينبه أصحاب رسول الله ﷺ على عظم هذه المسألة وشدة تأكدها، فقال للنبي ﷺ في حديثه المشهور: يا محمد! أخبرني عن الإحسان؟ أي: وهو الذي خلق الخلق من أجل الاختبار فيه، فبين له النبي ﷺ أن طرقه الوحيدة هي هذا الواعظ الأكبر،

---

56 أخرجه ابن عدي في **الكامل في ضعفاء الرجال**، ج7، ص306، وفي الإسناد: محمد بن بلال، يغرب، لا بأس به.

57 أخرجه الطبراني في **الكبير** برقم (6975)، وصححه الألباني في **صحيح الجامع** برقم (1824).

58 أخرجه البيهقي في **شعب الإيمان** برقم (4932)، وصححه الألباني في **السلسلة الصحيحة** برقم (1113)، وحسنه في **صحيح الجامع** برقم (1891).

والزاجر الأعظم، الذي هو طريق المراقبة والعلم فقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[59] .

ومن أعظم أنواع الإحسان: العفو عن المخطئين المسيئين، والإغضاء عن زلاتهم، والعفو عن هفواتهم.

ومن كانت طريقته الإحسان، أحسن الله جزاءه، قال تعالى : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن:60]، وهذا استفهام بمعنى التقرير؛ أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الله وإلى عباد الله إلا أن يحسن الله جزاءه.

وقال تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:26]؛ فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:195]، ومحبة الله هي أعلى ما تمناه المؤمنون، وأفضل ما سأله السائلون، وسببها من العبد أن يكون من المحسنين في عبادته وإلى عباده، فينال من محبة الله ورحمته بحسب ما قام به من الإحسان.

ومحبة الله تبارك وتعالى لعبده المؤمن شيء فوق إنعامه، وإحسانه، وعطائه، وإثابته، فإن هذا أثر المحبة وموجبها، أما هي فأعظم من ذلك وأشرف.

وهكذا حين يستحضر الإنسان أن الله سبحانه وتعالى مطلع عليه، يرى مكانه ويعلم سره وعلانيته، ويسمع كلامه، فإنه سيعمل بمقتضيات أسماء الله سبحانه وتعالى، فيدفعه اسم الله: السميع، والبصير، والعليم إلى مراقبة الله في أقواله وأفعاله. وحين يتذكر اسم الله: القدير، فإنه يرتدع عن ظلم غيره إن قدر عليه؛ لأنه يعلم أن الله على أخذه أقدر، وحين يتذكر اسم الله: العظيم، والمتكبر، فإن ذلك يدفعه إلى التواضع له، والتخلي عن الكبر واحتقار الناس والتعاظم عليهم، وحين يتذكر اسم الله: الغني، فإنه يضع حوائجه كلها عنده، ويلجأ بذاته كلها إليه سبحانه، فلا يلتفت إلى غير الغني، الذي كل شيء فقير إليه، وهو غني عن كل شيء وكل أحد.

وهكذا.. فكلما ازداد علم الإنسان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، زاد تعظيمه لله، وحسن عمله، لأنه يراعي مقتضيات هذه الأسماء.

وفي كتاب الله سبحانه تذكير بهذا، وحث عليه، في مئات المواطن من كتاب الله سبحانه، نجد أن الله سبحانه يحثنا على فعل شيء ما، ويعقب الحث بذكر اسم من أسمائه أو صفة من صفاته ، كقوله سبحانه: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى

---

59 متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه برقم(50)، ومسلم في صحيحه برقم (9).

مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ [البقرة:196]، وكقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء:106]، وقوله: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزّمل:20].

وكذلك صفة الإتقان، وهي عامة في الخلق، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:88]، فقررت الآية أن الإتقان شامل كل مادة يعيش بها الخلق.

ويؤكد الله تعالى ظاهرة الإتقان وإحكام الخلق بنفي الخلل في أجزاء الكون على اتساعه الهائل حتى جعل هذا الأمر مجالًا للتحدي بعد إثارة العين النافذة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك:3 – 4]، وجاء تفسير الفطور: الصدوع والشقوق والخلل، بل لا ترى العين في السموات إلا إحكامها و «استجماعها على ما ينبغي لها»[60] .

وهذه دعوة إلى استغلال الطاقات والتأمل والتفكير والتدبُّر العميق في كتاب الله المنظور والمسطور، فينظر في كلّ ما حوله من إبداع ليقوده إلى معرفة بديع السموات والأرض، يقول النبي ﷺ «تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله»[61] ، فهذا المنطوق النبوي يدعونا للتفكير في الخلق الذي يقود للعلم والتكنولوجيا، بموازاة إبداعية الله في العالم، ويحذّرنا من التفكير في الذات الإلهية التي تعلو على الأفهام، وتستعصي على القدرات البشرية، وهو التفكير الذي يقود إلى البحث في الغيبيات التي لامجال للعقل فيها، وما يتمخض عن هذا كله من هدر للطاقة العقلية، فإنه يريدنا أن نتعامل مع الكتلة العمرانية، وأن نكشف عن قوانينها لتنمية الحياة التي سُخرت إمكانياتها للإنسان[62] .

---

60 البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج5، ص361.

61 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج13، ص383، موقوف، وسنده جيد. أورده العجلوني في **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** برقم (1005)، وفي رواية: «تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله».

62 انظر: عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، ص73، **توظيف السنة النبوية في بناء الشخصية الإبداعية** ص 14-15.

الخاتمة

– اهتمام الإسلام بالإبداع وأنه دين عالمي يهتم بكل ما يصلح أحوال العباد والبلاد سواء في أمور دينهم ودنياهم.

– عنيت عقيدة التوحيد ببناء الرعيل الأول، جيل التلقِّي والتأسي، والحملة الأُول لرسالة الإسلام، وفقًا لهذه المنظومة المتلازمة التي تمكنت أن توجد ذلك الجيل المتَّبع دون تقليد، والمبدع دون تجاوز، والمجتهد دون تعدي وافتآت، والمجدد دون تهوّر أو تبديد؛ فكان جيلًا مثاليًا فريدًا.

– أن هناك علاقة طرديه بين قوة المسلمين وإتقانهم وإبداعهم وبين قوة توحيدهم وتاريخ الأمة الإسلامية، وقيام دولها وسقوطها خير شاهد على ذلك، وإذا أردنا استعادة أمجاد أسلافنا الموحدين الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، فعلينا بالاقتداء بهم في توحيدهم الخالص لله تعالى، وإتقانهم وإبداعهم لأعمالهم.

– حين يقرُّ الإنسان بتوحيد الله تعالى في ربوبيته للكون، وأنه يسيّر الكون كله وفق سنن وحوادث ثابتة، من أصغر ذرة إلى أكبر مجرّة، فنرى الموحِّد يُحسن التعامل مع السنن الكونية، ويَنْظر إلى الكون نظرةً صحيحة منضبطة بالمنهج السليم في النظر والتفكير . ويثمر ذلك إتقان الموحد لعمله وإبداعه فيه وعقيدته تدفعه إلى العمل الجاد المخلص؛ لأنه يعلم أنه مأمور بذلك دينًا، وأنه مثاب على كل ما يقوم به من عمل جلّ ذلك العمل أم صغر.

– إن هذا الكون لا يصلح بوجود إلهين اثنين، فكذلك قلب العبد، وإن الموحِّد أولى الخلائق بإتقان عمله والإبداع فيه إذا أخذ بسنن الله الكونية والشرعية.

– إن من أعظم مفجرات الطاقة الإبداعية ودوافع الإتقان لدى المؤمن، الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وإن من أعظم ثمار الإيمان بالأسماء والصفات، استقراء آثارها وانعكاساتها في الخلق والأمر.

– إن القيود على الفكر والاعتقاد تحطم مسألة الإبداع، وتَحُول دون التفكير العلمي الخلَّاق، فيبقى فكر الإنسان أسيرَ أُطُر الخرافات والخزعبلات، وتقديس أشكال وقوى ومخلوقات، يعتقد فيها الإنسان النفع والضر.

وأوصي في ختام هذا البحث بما يلي:

– إن الأمة الإسلامية وهي تتطلع إلى الشهود والإبداع الحضاري، وتفعيل دورها الغائب المرتقب، لابد لها من العودة إلى عقيدة التوحيد المستقاة من الينابيع الأولى (الكتاب والسنة) التي استقى منها الرعيل الأول تجربته الإبداعية الرائدة ؛ انطلاقاً لبناء النخبة المبدعة، وإعادة بناء ذاتها العقدية والثقافية والحضارية، وتحديد هُوِيتها، بعد أن أصابها كثير من العبث والغبش، وإن الطريق الآمن والوحيد لبلوغ نهضة الأمة

المنشودة لابد وأن يبدأ من إصلاح العقيدة في نفوس المؤمنين، وليعلموا أن إصلاح الدنيا وقيادة الأمم وعودة الأمة الإسلامية بعد غيابها الطويل مطلب شرعي وضرورة بشرية.

ولذلك ينبغي على أولياء أمور المسلمين والمؤسسات العلمية الرسمية والخاصة أن ينهضوا للعمل على تصحيح مسيرة الأمة في مختلف المجالات كما أرادها الإسلام، من خلال الرؤية العقدية الصحيحة التي تعطي للعقل صفاءه وللنفس بهجتها وللشخصية استقلالها وإبداعها.

– حل مشكلة الازدواجية بين التعليم الرسمي العام (المدني) وبين التعليم الديني، بطريقة تضمن تسهيل المعارف الإسلامية الأساسية لكل أبناء الأمة الإسلامية وتأصيل المفهوم الصحيح للعلم في الإسلام وإعادته إلى عقول المسلمين وتقريره في المناهج الدراسية والأكاديمية، ودعم البحث العلمي المبني على هذا المفهوم، ويُوازن في ذلك بالعمل بعيدا عن المفهوم العلماني بإبعاد الدين عن الحياة.

– دعوة للتربويين المسلمين والمهتمين بدراسة الإبداع، إلى الانطلاق من هذه الغاية، بوضع نظرية إسلامية شمولية عن الإبداع، وتوجيه منهجه تعليمًا وتطبيقًا بما يتناسب مع المنهجية الإسلامية وتعزيز بحوث الإبداع وفق طرائق تربوية ثقافية واجتماعية وإنتاجية وخدمية عديدة مما يمكِّن من نشر نتائج البحوث العلمية، ووضعها موضع التطبيق العملي في تنمية المجتمعات الإسلامية والعربية.

– الدعوة إلى استغلال الطاقات والتأمل والتفكير والتدبُّر العميق في كتاب الله المنظور والمسطور، فينظر في كلِّ ما حوله من إبداع؛ ليقوده إلى معرفة بديع السموات والأرض، والتفكر في الخلق الذي يقود للعلم والتكنولوجيا.

– ينبغي لهيئة الأمم المتحدة الاهتمام بالجانب الإيماني والأخلاقي عند بحثها عن قياس التنمية البشرية، إضافة إلى اهتمامها بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، حيث لوحظ في تقاريرها المنشورة أنها لم تركز على جانب القيم الإيمانية والأخلاقية في صياغتها لمؤشر قياس التنمية البشرية رغم أهميته الشديدة.

– إنَّ الحاجة ماسة إلى تنمية طرائق إبداعية لتيسير تعليم اللغة العربية لغة القرآن (قراءة وكتابة وتذوقًا لأسرارها)، بوصفها أساسًا للهوية الاسلامية والعربية، ووسيلة للإحاطة بالإرث الثقافي العربي الإسلامي.

– إقامة مؤتمر عالمي حول عنوان هذا البحث وعقد حلقات نقاش بين نخبة من علماء الأمة من مختلف التخصصات؛ للخروج بأفكار عملية تخرج الأمة من المأزق الحضاري وتقدم رؤية لنهضة الأمة.

– إعداد مناهج تعليمية في مختلف المراحل بإتقان وإبداع توضح العقيدة الصافية على منهج السلف الصالح بعيدًا عن المناهج المبتدعة.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، (اتحاد الكتاب العرب، د.ط، 1423هـ - 2002م).
2. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (دار الرسالة العالمية، ط1430،1هـ - 2009م).
3. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ).
4. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).
5. أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، الباعث على إنكار البدع والحوادث، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، (القاهرة: دار الهدى، ط1، 1398هـ – 1978م).
6. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الابتكار وتنميته لدى الأطفال، (مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 1424هـ - 2003م).
7. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها وفوائدها، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، جـ 1-4: 1415هـ-1995م، جـ 6: 1416هـ-1996م، جـ 7: 1422هـ-2002م).
8. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، (الرياض: دار المعارف، ط1، 1412هـ - 1992م).
9. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت).
10. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجه، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ)..
11. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ - 1987م).
12. الترابي، حسن، الصحوة الإسلامية والدولة في الوطن العربي، مجلة حوار، عدد 8، 1987م.
13. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ - 1975م).

14. التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م).
15. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، (بيروت: دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م).
16. جروان، فتحي عبد الرحمن، الموهبة والإبداع والتفوق، (الإمارات، دار الفكر، ط7، 2016م).
17. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ - 1987م).
18. الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ - 1990م).
19. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1414هـ - 1993م).
20. د. جابر عبد الحميد جابر وآخرون، معجم علم النفس والطب النفسي، (القاهرة: دار النهضة العربية، ط1، ج1: 1988م، ج2: 1989م، ج3: 1990م، ج4: 1991م، ج5: 1992م، ج6: 1993م، ج7: 1995م، ج8: 1996م).
21. د. حسن أحمد عيسى، الإبداع في الفن والعلم، (الكويت: عالم المعرفة، د.ط، 1979م).
22. د. نادية عبده عواض أبو دنيا وآخرون، سيكولوجية الإبداع، (مهارات النجاح، د.ط، د.ت).
23. رمزي، عبد القادر هاشم، مفهوم الإبداع في النسقية الإسلامية، مجلة إسلامية المعرفة، عدد 41، 2005م.
24. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية، د.ط، د.ت).
25. سعاد الناصر، الدعاء سبيل الحياة الطيبة، (الدوحة: مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر؛ الكتاب ضمن سلسلة كتاب الأمة رقم (115)، السنة السادسة والعشرون، ط1، 1427هـ).

26. السويدان، د. طارق السويدان وآخرون، مبادئ الإبداع، (الرياض: قرطبة للنشر والتوزيع، ط3، 2004م).
27. الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1419هـ - 1998م).
28. عبد الحميد أبو سليمان، إسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق، الجامعة الإسلامية نموذجًا، مجلة إسلامية المعرفة، عدد 26، 2001م.
29. العجين، علي بن إبراهيم، الإبداع رؤية إسلامية، (عمان: مركز ديبونو لتعليم التفكير، ط2، 2015م).
30. العلواني، طه جابر، كلمة التحرير، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الحادية عشر، العدد 41، صيف 1426هـ - 2005م.
31. القرني، عائض، محمد صلى الله عليه وسلم كأنك تراه، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1422هـ - 2002م).
32. القيسي، مروان إبراهيم، معالم الهدى إلى فهم الإسلام، (عمان: المكتبة الإسلامية، ط1، 1406هـ - 1985م).
33. كروبلي، آرثر، الإبداع في التربية والتعليم، ترجمة د. إبراهيم الحارثي ومحمد مقبل، (د.ن، د.ط، د.ت).
34. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ - 1998م).
35. مالك بن نبي، وجهه العالم الإسلامي، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1423هـ - 2002م).
36. المومني، إنصاف أيوب، توظيف السنة النبوية في بناء الشخصية الإبداعية، (مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 18- 04- 2006 - 2007م).
37. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
38. هشام الطالب، دليل التدريب القيادي، (فيرجينيا – أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1995م).
39. يسرى محمد أرشد، حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي، سلسلة كتاب الأمة، عدد 114، 1427هـ.